مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ١٦:١٦–٣٤)

في تلك الأيام فيما نحن الرسلَ منطلقون إلى الصلاةِ استقبلتنا جارية بها روحُ عرافةٍ. وكانت تُكسِبُ مَواليها كسباً جزيلاً بعِرافتها* فطفقت تمشي في إثرِ بولسَ وإثرنا وتصيح قائلةً هؤلاءِ الرجالُ هم عبيد الله العليِّ وهم يبشِّرونكم بطريق الخلاص* وصنعت ذلك أياماً كثيرةً فتضجَّر بولسُ والتفت إلى الروح وقال إني آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرجَ منها. فخرج في تلك الساعة* فلمَّا رأى مواليها أنَّه قد خرج رجاءُ مكسبهم قبضوا على بولسَ وسيلا وجرُّوهما إلى السوق عند الحكّام* وقدَّموهما إلى الوُلاة قائلين إن هذين الرجلَين يبلبلان مدينتَنا وهما يهوديَّان* وينادِيان بعادات لا يجوز لنا قبولها ولا العملُ بها إذ نحن رومانيُّون* فقام عليهما الجمعُ معاً ومزَّق الولاةُ ثيابهما وأمروا أن يُضربا بالعِصيِّ* ولما أثخنوهما بالجراح ألقوهما في السجن وأوصَوا السجَّانَ بأن يحرسهما بضبط* وهو إذ أُوصي بمثل تلك الوصيَّة ألقاهما في السجن الداخلي وضبط أرجلهما في المِقطرَة* وعند نصف الليل كان بولسُ وسيلا يصليان

أحد الأعمى

رتّب آباؤنا القديسون خِدَم مرحلة ما بعد الفصح بحيث يحيا المؤمنون في زمن الملكوت، الذي أسسه الرب يسوع المسيح في تجسّده وتعليمه وأفعاله الإلهية التي دخلت واقع البشر وحوّلته إلى حيّز عمل النعمة الإلهية في حياة الإنسان، والتي تجعل يوميات الإنسان وتاريخه يشهدان على حضور الله في حياتنا وعنايته بكل خليقته. وفي هذا الإطار تأتي الآحاد التالية للفصح لتؤكّد على مفاعيل قيامة المخلص فينا، مذكّرة إيانا بحوادث افتقاد إلهي حققها الرب قبل أن يُتم عمل الخلاص ويصعد إلى يمين الآب.

في الأحد الخامس بعد الفصح نقرأ في القداس الإلهي الإصحاح التاسع من إنجيل يوحنا، الذي يخبرنا عن شفاء الأعمى.

خلاصة هذا الخبر أن ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح قصد أورشليم، يوم عيد المظال الذي يقع ستة أشهر قبل ذبيحة الصليب، على الرغم من إدراكه أنّ قادة اليهود ورؤساء الكهنة يسعون إلى قتله، وهناك علّم في باحة الهيكل. وفيما

العدد ٢٠١٣/٢٣

الأحد ٩ حزيران

أحد الأعمى

تذكار أبينا الجليل في القديسين كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الثامن

هو يغادر الهيكل شاهد رجلاً أعمى جالساً في زاوية يتوسّل مساعدة من المارّين. فسأل التلاميذُ معلّمَهم: «يا رب، مَن أخطأ أهذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟» والرب العارف قلوب الناس أجاب بإشفاق ومحبة: «لا هذا أخطأ ولا أبواه ولكن لتظهر أعمال الله فيه».

وفيما هو مجتاز على مقربة من الرجل الأعمى شفاه. فأصبح الأعمى إنساناً كامل البصر. أما الفريسيون فبدأوا يستجوبونه سائلين إيّاه عمّن صنع له هذا الإحسان العظيم، الأمر الذي ما استطاعوا هم صنعه.

وقد بلغ بهم الأمر أن وجهوا إلى المخلص أصابع الإتهام كونه يقوم بهذه الأعمال العظيمة يوم السبت، أي يوم الرب. وقد قالوا باستهزاء غير قادرين على تماسك أنفسهم: «أعطِ مجداً لله. نحن نعلم أنّ هذا الإنسان خاطئ. ونعلم أنّ الله لا يسمع للخطأة. ولكن إن كان أحد يتّقي الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع. فأجابهم الأعمى الذي شفي «منذ الدهر لم يُسمَع بأنّ أحداً فتح عينَيّ مولود أعمى. ولو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً».

ولما لم يتجاوب الأعمى الذي أبصر النور مع توبيخهم، طردوه من

ويسبّحان الله والمحبوسونَ يسمعونهما* فحدثت بغتةً زلزلةٌ عظيمةٌ حتى تزعزعت أُسس السجن. فانفتحت في الحال الأبوابُ كلُّها وانفكت قيود الجميع* فلمَّا استيقظ السجَّان ورأى أبواب السجن أنها مفتوحة استلَّ السيف وهمَّ أن يقتل نفسه لِظنِّه أنَّ المحبوسين قد هربوا* فناداه بولسُ بصوتٍ عالٍ قائلاً لا تعمل بنفسك سوءاً فإنا جميعنا ههنا* فطلب مصباحاً ووثب إلى داخل وخرَّ لبولسَ وسيلا وهو مرتعدٌ* ثمَّ خرج بهما وقال يا سيِّدي ماذا ينبغي لي أن أصنع لكي أخلصَ* فقالا آمن بالربِّ يسوع المسيح فتخلصَ أنت وأهلُ بيتك* وكلَّماه هو وجميع مَن في بيته بكلمة الرب* فأخذهما في تلك الساعة من الليل وغسل جراحهما واعتمد من وقته هو وذووه أجمعون* ثمَّ أصعدهما إلى بيته وقدَّم لهما مائدة وابتهج مع جميع أهل بيته إذ كان قد آمن بالله.

الإنجيل

(يوحنا ٩: ١–٣٨)

في ذلك الزمان فيما يسوع مجتاز رأى إنساناً أعمى منذُ مولده* فسأله تلاميذه قائلين يا ربُّ من أخطأ أهذا أم أبواه حتى وُلد أعمى* أجاب يسوعُ لا هذا أخطأ ولا أبواهُ. لكن لتظهرَ أعمالُ الله فيه* ينبغي لي أن أعمل أعمالَ الذي أرسلني ما دام نهارٌ. يأتي ليلٌ حين لا يستطيع أحدٌ أن يعمل* ما دمت في العالم فأنا نورُ العالم* قال هذا وتفل على الأرض وصنع من تفلته طيناً وطلى الهيكل وأخرجوه من مجمع الإسرائيليين. جُرِّد من كل حق. ولم يعد بإمكان أحد الإقتراب إليه أو الإختلاط به أو مساعدته في شيء. حتى أبواه تبرآ منه.

«لأن أبي وأمي هجراني، أما الرب فإليه أخذني» (مز ٢٦: ١٢).

للوقت وجده المخلّص نفسه وقال له: «أتؤمن بابن الله؟» فسأل هذا الذي مُنِح البصر: «مَن هو يا سيّد حتى أؤمن به؟» قال له المخلّص: «قد رأيته والذي يتكلّم معك هو هو». لم يحتَج الرجل المولود أعمى برهاناً آخر بل سجد ليسوع كإله وقال: «أؤمن يا سيّد».

يا لعجب هذا الإنسان الذي لم يرَ في الدنيا شيئاً قط والذي لمسته يد المسيح المعطية الحياة فشرع يبصر ويسبّح الله! وأوّل شخص رآه كان ربَّه وإلهه، المسيح الإله الإنسان ونور العالم.

كانت هذه أول رؤية له: شاهد أيقونة ما يُمكن أن يكون عليه وجه الإنسان حين يكون مضاءً من الداخل بالمحبّة والتفهّم، بالنعمة الإلهية والملكوت الأبدي. أبصر هذا الرجل عزاءً غير محدود في وجه الرب يسوع وفي ملامحه. هو الذي كان إلهاً وصار، من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، ابن الإنسان.

معنى الحادثة هذه أن قد حان أوان قيامة الإنسان منذ جاء المسيح إلى العالم. الإنسان المنفصل عن الله والمتغرِّب عنه، والذي يستعيد دعوته أي الدخول في شركة مع المسيح نور العالم الذي يقيمنا من ظلمة الخطيئة والموت الروحي، ويقتادنا إلى بيت الآب.

لطالما عاش الأعمى الذي شفاه الرب في غربة. غربة عن الناس والخليقة لأنه ما كان قادراً سوى على الاستجداء، وغربة الخروج من مجمع اليهود والهيئة الاجتماعية، لأنه أبصر المسيح وأحبه. لا بد من الغربة إن كنّا نتوق إلى وجه السيّد.

والمسيح يشاء أن يقتاد الإنسان الرازح تحت أوزار الخطيئة وظلمتها إلى ملء الحرية إلى شركة القديسين. هؤلاء الذين اكتشفوا حقيقته وآمنوا به وصاروا واحداً معه، الذين أودعهم نوره ونعمته والدالة لديه.

أن نوهَب النظر هو بدؤنا في رؤية رحمة الله العظيمة في هذا العالم، هذه الرحمة التي وهبتنا سرَّيْ المعمودية والميرون (الذي هو ختم موهبة الروح القدس). اللذين هما العينان الإثنتان للروح، واللذين هما بدء قيامتنا ومسيرتنا نحو نور المسيح، الذي لا يعروه مساء.

المحبة

تُعيّد الكنيسة المقدسة في العاشر من حزيران للقديسَين ألكسندروس وأنطونينا. ينقل لنا كتاب سير القديسين أنّ القديسة أنطونينا تعرّضت للسجن والتعذيب رافضةً إنكار المسيح وخدمة الآلهة الوثنية. حاول الوالي إفساد هذه العذراء من خلال إرسالها إلى بيت من بيوت السوء والخلاعة. لكنّ التدبير الإلهي اختار جنديًّا، محبًّا لله مؤمناً، واقتاده إلى ذلك المنزل زاعماً رغبةً في الدخول على تلك العذراء. عندما انفرد الجندي بها، أعطاها رداءه لكي تتمكّن من الهروب دون أن يكشفها الحرّاس. بالفعل استطاعت أن تهرب من المنزل. ولكن عند اكتشاف أمرهما اعتقلا واقتيدا إلى الموت لينالا إكليل الشهادة وهما مصانان من الله.

نأتي على ذكر حياة هذين القديسين لكي نسلّط الضوء على

بالطين عيني الأعمى* وقال له اذهب واغتسل في بركة سلوامَ (الذي تفسيرُه المرسَل). فمضى واغتسل وعاد بصيراً* فالجيران والذين كانوا يرونه من قبلُ أنّه كان أعمى قالوا أليس هذا هو الذي كان يجلِسُ ويستعطي. فقال بعضهم هذا هو* وآخرون قالوا إنّه يشبهه. وأمّا هو فكان يقول إني أنا هو* فقالوا له كيف انفتحت عيناك* أجاب ذاك وقال إنسانٌ يقالُ له يسوعُ صنع طيناً وطلى عيني وقال لي اذهب إلى بركةِ سلوامَ واغتسل. فمضيت واغتسلتُ فأبصَرْتُ* فقالوا له أين ذاك. فقال لا أعلمُ* فأتوا به أي بالذي كان قبلاً أعمى إلى الفريسيين* وكان حين صنع يسوعُ الطينَ وفتح عينيه يوم سبتٍ* فسألهُ الفريسيون أيضاً كيف أبصر. فقال لهم جعل على عينيَّ طيناً ثمّ اغتسلت فأنا الآن أبصِرُ* فقال قومٌ من الفريسيين هذا الإنسانُ ليس من الله لأنّه لا يحفظ السبتَ. آخرون قالوا كيف يقدِر إنسانٌ خاطئٌ أن يعمل مثلَ هذه الآيات. فوقع بينهم شِقاقٌ* فقالوا أيضاً للأعمى ماذا تقولُ أنت عنه من حيث إنّه فتح عينيك. فقال إنه نبيٌّ* ولم يصدِّقِ اليهود عنه أنّه كان أعمى فأبصر حتى دعوا أبوي الذي أبصر* وسألوهما قائلين أهذا هو ابنُكما الذي تقولان إنّه وُلد أعمى. فكيف أبصرَ الآن* أجابهم أبواهُ وقالا نحن نعلمُ أنّ هذا وَلَدُنا وأنّه وُلد أعمى* وأمّا كيف أبصر الآن فلا نعلم أو من فتح عينيه فنحن لا نعلم. هو كاملُ السنّ فاسألوه

المحبّة التي غمرتهما.

في هذه الرواية نوعان من المحبّة. المحبّة تجاه الله والمحبّة تجاه الآخر. أنطونينا التي نحن معيّدون لها أحبّت الله فوق كلّ شيء. لقد اقتيدت إلى أحقر ما يمكن أن تتعرض له عذراء عفيفة، إلاّ أنّها لم تشكّ أنّ المحبة التي تحملها في قلبها لله ستكون شفيعتها. لم تضعف أمام الوالي والعسكر، بل تقوّت بإيمانها ولم تحوّل عينا ذهنها عن الله بل كان لها ملء الثقة بعنايته. هذا الإله الذي لا يتوانى لحظةً عن الإهتمام بخليقته وعن صون مَن يحبّونه، تدخّل عبر إرسال الجندي ألكسندروس لينقذها. كما أرسل الربُ الملاكَ إلى الفتية الثلاثة في الأتون ليحفظهم، يُرسل هنا ألكسندروس ليحفظ القديسة. هذا الجندي اشتعلت فيه إلى جانب محبّة الله، محبّةٌ أخرى: «محبّة القريب» التي أوصى الله بها، حفظها ألكسندروس في قلبه. ويمكننا أن نضيف أنّه لم يحفظها حرفيًّا فقط وإنّما تمثّل بالسيّد. لقد أحبّ القريب أكثر من نفسه، على مثال الرب الذي أحبّ حتى أنّه بذل ذاته لأجل العالم. هذه محبّةٌ لا تعرف الحدود. حتى الموت لا يوقف أو يحدّ هكذا محبّة. إنّها محبّة تبذل ذاتها عن الآخرين. لقد طبّق وصيّة السيّد حرفيًّا: «هذه هي وصيّتي أن تحبّوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم» (يو ١٥: ١٢). فكما أحبّنا الرب حتى انه عُلّق على خشبة، كذلك أحبّ هذان القديسان الله حتى الشهادة.

الله أحبّ وأوصى بالمحبّة. يقول يوحنا اللاهوتي كاتب الإنجيل الرابع ان «الله محبّة». من هنا فالمحبّة هي إحدى أهمّ الفضائل وهي الوصيّة التي نادى بها الرب يسوع طوال فترة كرازته على الأرض. أضحت المحبّة لغةً كونيّة يفهمها الصديق والغريب، القريب والبعيد. يمكن أن نُلمّ بعدّة لغات ويأتي شخصٌ يجهل هذه اللغات كلّها فنعجز عن التواصل معه. إلاّ أنّ حاجز اللغة يسقط أمام أعمال المحبّة التي تفهمها كلّ الخليقة الناطقة وغير الناطقة. لماذا غير الناطقة أيضاً؟ لأنّنا إذا اعتنينا بشجرةٍ بالمحبّة وشذّبناها ورويناها، تنمو. وإذا اهتممنا بالحيوان بلطفٍ يقترب منّا ويتآلف معنا. مَن يطّلع على حياة الآباء القديسين الذين نسكوا في البراري يفهم هذا القول. الأب بايسيوس المعاصر لنا هو أحد الآباء الذين تفاهموا مع الدببة والنمل والأفاعي.

لماذا قلنا أنّ المحبّة هي من أهمّ الفضائل؟ لأنّ المحبّة أعادتنا إلى الفردوس وبها نلنا عدم الفساد. لولم يحبّ الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لما نلنا الخلاص. بالتجسّد والصلب ثمرتي المحبّة الإلهيّة نلنا الخلاص. والمحبّة ستحضر في اليوم الأخير أي يوم الدينونة حين سيقول السيّد للذين عن يساره «بما أنّكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا» (متى ٢٥: ٤٥). إن لم نعطِ ونهتمّ بالآخرين، سننال حظّ اليسار. فالمحبّة تتّجه دائماً نحو الآخر. المحبّة الحقّة هي المحبّة المعطاءة لا التي تقتني لذاتها.

أحبّنا يسوع فلم يجزع من الصلب، ولم يرضَ أن يدافع عنه تلاميذه في بستان الزيتون حين أتوا ليعتقلوه. وفي الأحد الثاني بعد الفصح، الذي نعيّد فيه لحاملات الطيب ويوسف الرامي ونيقوديم وس، رأيد ا محبة يوسف الرامي الذي دخل على الحاكم الجبّار وطلب جسد ذاك الذي حُكم عليه وصلب. والنسوة بدافع من المحبّة انطلقن باكراً ليطيّبن جسد

فهو يتكلّم عن نفسه* قال أبواهُ هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود لأنّ اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحدٌ بأنّه المسيحُ يُخرَجُ من المجمع* فلذلك قال أبواه هو كاملُ السنِّ فاسألوهُ* فدعوا ثانية الإنسان الذي كان أعمى وقالوا له أعطِ مجداً لله. فإنا نعلم أن هذا الإنسان خاطئٌ* فأجاب ذاك وقال: أخاطئٌ هو لا أعلمُ. إنما أعلم شيئاً واحداً أني كنت أعمى والآن أنا أبصرُ* فقالوا له أيضاً ماذا صنع بك. كيف فتح عينيك* أجابهم قد أخبرتكم فلم تسمعوا. فماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً. ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تصيروا له تلاميذ* فشتموه وقالوا له أنت تلميذ ذاك. فأمّا نحن فإنا تلاميذُ موسى* ونحن نعلم أنّ الله قد كلم موسى* فأمّا هذا فلا نعلم من أين هو* أجاب الرجلُ وقال لهم إنّ في هذا عجباً أنكم ما تعلمون من أين هو وقد فتح عينيّ* ونحن نعلم أنّ الله لا يسمعُ للخطأة. ولكن إذا أحدٌ اتقى الله وعملَ مشيئتَه فله يستجيب* منذ الدهر لم يُسمَع أن أحداً فتح عيني مولودٍ أعمى* فلو لم يكن هذا منَ الله لم يقدر أن يفعل شيئاً* أجابوه وقالوا له إنك في الخطايا قد وُلدتَ بجملتِك. أفأنت تعلّمنا. فأخرجوه خارجاً* وسمع يسوعُ أنهم أخرجوه خارجاً. فوجده وقال له أتؤمنُ أنت بابنِ الله فأجاب ذاك وقال فمنَ هو يا سيّدُ لأؤمن به* فقال له يسوع قد رأيته والذي يتكلمُ معك هو هو* فقال له قد آمنت يا ربُّ وسجد له.

المصلوب غير آبهاتٍ لما قد يتعرّضن له من الحراس. واليوم نرى في القديس ألكسندروس محبّة جريئة تبذل ذاتها عن الآخر وتعرّض صاحبها للموت.

السؤال المطروح اليوم، أين نحن من المحبّة؟ أصبحت المحبة مجرّد عنوانٍ جميل نصادفه في مطالعاتنا؟ هل نحيا المحبّة كما أوصانا السيّد؟ لقد كثرت الإهتمامات الماديّة في زمننا المعاصر. أصبحت المادّة وسيلةً وحيدةً لتأمين استمراريّة العيش. أصبح صعباً الحصول على هذه المادّة وبالتالي المحافظة على الحياة. هذا ما يبعدنا في كثير من الأحيان لا عن المحبّة فقط بل عن سائر التعاليم التي أوصانا بها السيّد. لا يخفى على أحد أنّ كلّ شيءٍ أصبح أسير السرعة والتطوّر في هذا العصر. لكلّ عصرٍ خصائصه وصعابه كما لكلّ مسألةٍ حسابيّة صعوباتها، لكن متى اعتدنا على التعامل معها نصبح متحكّمين بها ولا تعود عاصية علينا. في حين سيطرت المادّة علينا، يجب أن نبحث عن الوسيلة التي تسمح لنا بالسيطرة عليها مجدداً. ألكسندروس وأنطونينا كما غيرهما من القديسين تحكّموا بيوميّاتهم. وضعوا المحبّة ناموساً لهم وكانت هي المسيطرة على أعمالهم. نحن لسنا معرّضين حتى اليوم للموقف الذي واجهاه، نكران المسيح أو الموت. نحن نعيش ظروفاً أسهل ولكن يجب أن لا نتساهل بل أن نسلك بالمحبّة ونخلع رداءنا كما فعل القديس ألكسندروس ونلبسه لمَن هم بحاجة إلينا. سالكين هذا الدرب، ومطبّقين هذه الوصايا، نجد مكاننا بين الخراف التي ستقف عن يمين السيّد فنرث ملكوت السموات.

من أقوال الآباء

أخبروا عن القديس افتيميوس انه قال لبعض الإخوة ممن كانوا يجتمعون به على انفراد، أنه كان أحياناً كثيرة يرى بعينيه مشهد ملائكة يشتركون معه في الخدمة ويلمسون القرابين الإلهية، وأنه أثناء مناولة الجسد السيدي، كان يشاهد البعض ممن يقبلون إلى المناولة مشعّين بالنور، والبعض الآخر مظلمين، أي أولئك الذين لم يكونوا مستحقين لاستنارة ذلك النور واستضاءته.

لهذا السبب كان يوبخ الإخوة على الإهمال ويحثّهم على الانتباه الشديد لكي يفحص كل واحد نفسه، ثم يقترب من مناولة الجسد والدم المقدسين بخوف ورعدة. عالماً أنه بتقدّمه إلى الشركة الإلهية عن غير استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه (١ كو ١١: ٥).

فإن الكاهن قبل أن يقدّم الذبيحة الإلهية يتوجه إلى الشعب ويحثّهم على الاستعداد قائلاً: «لنضع قلوبنا فوق» وبعد أن يعده الشعب مجيباً إياه: «هي لنا عند الرب»، يباشر بتهيئتها على هذا الأساس، وعند إتمام تقديس الذبيحة يرفع يديه نحو السماء، مظهراً بذلك سرّ الخلاص الذي تمّ من أجل خلاصنا ويهتف نحوهم بصوت جهور: «القدسات للقديسين»، وكأنه يقول، كوني إنساناً مثلكم أجهل أخطاء كل واحد ولهذا أعلن لكم بصراحة ما قد تمَّ تاركاً الحكم لضمائركم.